

الإنسان... رؤية مسيحية

موسى نيافة الأنبا

1- من هو الإنسان؟

الإنسان كائن متميز، كرمه الله بأمر لم يحظ بها أى مخلوق آخر، حتى الملائكة. ذلك لأن الإنسان نفحة قدسية من الله، استودعت في التراب لفترة طال أم قصرت، لكي يعيش الإنسان بروحه العاقلة ونفسه المتميزة، وجسده المصنوع بيد الله، حياة ترضى القدير وتمجد اسمه، وبعد ذلك.. يرث الإنسان ملكوت السموات، ليقتضى حياة أبدية مجيدة في لدن الله.

لذلك نسمى الإنسان "تاج الخليقة" أو "كاهن الخليقة"... نسميه "تاج الخليقة" لأن الله خلق الإنسان بعد أن خلق له كل شيء: الشمس والقمر والنجوم والماء والنبات والحيوان... وفي سفر التكوين نجد أن إلهنا العظيم بعد أن خلق كلاً من المخلوقات السابقة كان يقول: "ورأى الله ذلك أنه حسن" (تك 1: 21 و 18 و 21) ولكنه حينما خلق الإنسان، يقول في سفر التكوين: "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تك 1: 31). والإنسان يدعى "كاهن الخليقة" بمعنى أنه المنوط به تقديم التسبيح والتمجيد لإلهنا العظيم، نائباً عن كل المخلوقات في

الكون، فهو الكائن الوحيد العاقل الناطق، المتجاوز لذاته المحدودة، تطلعاً إلى السماء والسماويات، وهو الذي سلطه الله على "سمك البحر، وطيير السماء، والبهائم، وعلى كل الأرض، وكل ما يدب على الأرض" (تك 1: 26).

لذلك وجب على الإنسان أن يرفع قلبه وعقله كل يوم، تسبيحاً للخالق العظيم، الذي خلقه على صورته ومثاله. وهنا نسأل: ما معنى أن الإنسان مخلوق على صورة الله؟

2- الإنسان مخلوق على صورة الله :

ورد في سفر التكوين، أن إلهنا العظيم، قال حينما شرع في خلق الإنسان: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته... وباركهم وقال لهم: اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك 1: 27، 26).

والمقصود هنا أن الإنسان شابهه صانعه العظيم في أمور كثيرة منها :

1- القداسة : فقد خلق الله آدم باراً ومقدساً، متشكلاً بثوب البر، الذي أعطاه له الرب القدوس، وذلك قبل السقوط طبعاً.

2- الحكمة والنطق : لأن الله هو الحكمة اللانهائية (اللوغوس في اليونانية)، لهذا أعطى آدم قبساً من حكمته، تمثل في العقل الإنساني، القدرة على التفكير والتفسير والنطق والدراسة والتحليل والاستنتاج.

3- الحرية : فالله العظيم حر بصورة لا نهائية، لا يطاوله الشر، فهو الخير المطلق، والقدرة اللانهائية، وقد أعطى الإنسان الحرية الكاملة، في أن يقرر ويختار طريقه، وحتى مصيره الأبدى. لقد وضع الله أمام الإنسان طريقين: الحياة والموت، وأوصاه أن يختار الحياة. لكن الإنسان كان ولا يزال حراً في أن يختار الخطيئة والشر والموت، والله لا يمنعه عن ذلك قهراً أو قسراً، بل ينصحه بالكتب المقدسة والوعظ الروحاني، دون أن يفرض عليه طريقاً ما، ينصحه أن يختار طريق الخير والحياة الأبدية، وهو الذي يقرر ماذا يختار؟

4- **الخلود** : فانه خالد لا يموت، وقد أعطى الإنسان روحاً عاقلة خالدة لا تموت، فالجسد يموت ثم يقوم، بعد أن تعود إليه روحه العاقلة. وبعد أن يقوم الإنسان في يوم القيامة العامة، يستمر حياً إلى الأبد، في أحد مكانين: إما ملكوت السموات أو جهنم...

3- مكونات الطبيعة الإنسانية :

إن المكونات الأساسية للطبيعة الإنسانية هي :

1- **الروح** : العنصر الذى به يتجاوز الإنسان محدوديته، ليدخل إلى اللامحدود. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يتجاوز ذاته، وما يراه وما يعرفه، وما يحس به، إلى عالم "الميتافيزيقيا" أى "الماورئيات" .. ماذا وراء

المادة؟ والكون؟ والزمن؟ والطبيعة؟ والموت؟

إن الروح الإنسانية هي العنصر الذى من خلاله يعرف الإنسان الله. ويكون له إتصال بالحقائق الإيمانية، ويتطلع إلى السماء والخلود.

والإنسان منذ فجر الخليقة كائن متدين.. حتى إذا ما أخطأ فى معرفة من هو الله؟ فتصوره مرة قوة كالنار، أو مصدر حياة كالشمس، أو غير ذلك من التصورات الوثنية القديمة.. إلا أنه فى النهاية دائماً يسأل عن غير المحدود، أساس الكون، مصدر الحياة، معنى الوجود، وواجب الوجود، وأصل كل وجود، كما رأينا فى أختاتون الفرعون المصرى المؤمن بالله الواحد.

2- **العقل** : وهو عنصر التفكير والاستيعاب والإدراك والتعبير والتحاور والاكتشاف والاختراع..

والعقل الإنسانى يختلف عن العقل الغريزى الذى للحيوانات، والذى من خلاله يتعرف الحيوان أن هذا طعام، أو أن هذا صيد ثمين، وكيف يصل إليه؟

العقل الإنسانى وزنة؟ إلهية، لأنه عطية الله "اللوغوس" للإنسان. ومن خلاله يتأمل ويدرس ويستنتج. ومن خلاله يقترب من الألوهة واللامحدود.

العقل الإنسانى - بالقطع - محدود، ويستحيل أن يدرك اللامحدود، ولكنه يستطيع أن يستنير بروح الله، ليدرك الكثير من حقائق الإيمان.

العقل يبدأ بالإيمان يكمل!! دون مصادمة، ودون استغناء الواحد؟ عن الآخر!! فنحن "بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله" (عب 11:3).

إن؟ العقل كالعين المجردة المحدودة، التى تحتاج إلى التلسكوب، لترى ما هو بعيد، وما هو فوق طاقتها. فلا العين تستغنى عن التلسكوب، ولا التلسكوب يستغنى عن العين... كذلك لا العقل يستغنى عن الإيمان، ولا الإيمان يستغنى عن العقل... والإيمان لا يلغى العقل بل يتجاوزه، أنه ليس ضد العقل، بل هو فوق العقل.

3- **النفس** : وفيها الغرائز (الدوافع النفسية) الأساسية جداً لاستمرار النوع الإنسانى: كالجنس، والطعام، والخوف، والاستطلاع.. الخ. وفيها أيضاً الحاجات النفسية المختلفة: كالحاجة إلى الحب، والأمن، والتقدير، والانتماء. وكذلك الأفعال المنعكسة بدءاً من الرضاعة، إلى كل فعل منعكس آخر، أساسى لحفظ الإنسان. وفيها الدوافع العامة: كالاستهواء، والتقليد. وفى النفس أيضاً عناصر أخرى مكتسبة (غير الغرائز والحاجات النفسية الموروثة) مثل: العواطف، والعادات، والاتجاهات، التى تتكون لدى الإنسان أثناء مسيرته فى الحياة. ولاشك أن للنفس دور هام فى تحديد ملامح الشخصية، بما فيها من أمور طبيعية يمكن أن تفيد وأن تضر. وبما لا بد منه من تسام: بدوافع معينة، وما لا بد من ضبطه: من عواطف، أو التخلص منه: كالعادات الضارة، أو اكتسابه: كالعادات البناءة، أو فحصه: كالاتجاهات.. بل بما يحدث فى النفس من متاعب بسبب مصادمات الحياة المختلفة، وما يعترىها من قلق واكتئاب وحيرة وخوف وتأزم.. ما هو طبيعى، وما يمكن أن يكون مرضاً يحتاج إلى تدخل من الأطباء.

4- **الجسد** : فجسد الإنسان، بصحته أو أمراضه المختلفة، له دخل فى تحديد ملامح الشخصية.. مثل العاهات الجسمية وأثرها..

مراحل العمر.. مستوى الجمال.. نوع التغذية.. طول القامة.. وأمور أخرى كثيرة، يمكن أن يكون لها عائد على الشخصية. وعلى رأى الإنسان فى نفسه، ومدى ارتياحه ورضاه، أو تمرده ورفضه، أو اجتهاده فى تغيير ملامح معينة، وكذلك ما يتعرض له الجسد من حوادث وأمراض مختلفة تؤثر فى قدرة الحركة، والإنتاج.. الخ، أو ما يؤثر فى الصحة الجسدية كالتدخين والمخدرات والمسكرات والأمراض المنقولة جنسياً... كل هذه الأمور التى تؤثر على الجسد، تشارك فى تحديد ملامح الشخصية الإنسانية.